



مشاكلُ النطق والتواصل عند الأطفال: التأأة نموذجاً

إعداد

أ.د. هاني جرجس عياد

مجلة رعاية وتنمية الطفولة (دورية - علمية - متخصصة - محكمة)
يصدرها مركز رعاية وتنمية الطفولة - جامعة المنصورة
العدد الثاني والعشرون - ٢٠٢٤ م

مشاكل النطق والتواصل عند الأطفال: التأتأة نموذجاً

إعداد

أ.د. هاني جرجس عياد

هناك عدة أسباب لصعوبات التواصل لدى الطفل، بعضها يكون ناتجاً عن عوامل داخلية وبعضها الآخر يكون ناتجاً عن عوامل خارجية، تتنوع بين أسباب تتعلق بعوامل وراثية، وبيولوجية، وأسباب ترتبط بظروف الطفل المحيطة، وبيئته، وأسلوب تربيته، ومدى انشغال الأهل عنه، أو تواصلهم معه، ونوعية المحيط الاجتماعي الذي يعيش فيه. ولعلّ من بين الأسباب الشائعة لصعوبات التواصل عند الأطفال ما يلي:

أ- التأخر اللغوي ومشكلات النطق والكلام: قد يعاني الطفل من صعوبات في التواصل بسبب وجود مشكلة لغوية مثل صعوبة في النطق أو عدم القدرة على فهم اللغة بشكل جيد. ويمكن أن يعاني بعض الأطفال من مشاكل في الكلام عندما يكون هناك ضعف في السمع ونمو بطيء أو إعاقة ذهنية أو الإصابة بالتوحد أو ما يُسمى بـ "الخرس الاختياري" (عدم رغبة الطفل في التحدث)، والشلل الدماغي (اضطراب حركي ناجم عن تلف الدماغ). ويعدّ التلعثم في الكلام أو التأتأة (Stuttering) أحد أنواع اضطرابات النطق التي قد تعيق قدرة الشخص على الحديث بطلاقة، وسنوضح ذلك لاحقاً.

ب- الخجل والتردد: يتفاعل الطفل مع أهله فقط وبشكل محدود، ولا يلاحظ تفاعله مع أي شخص آخر، إذ يخجل ويتردد ويتجنب التواجد بين مجموعة من الأشخاص لا يعرفهم، أو حتى مع أشخاص من خارج نطاق العائلة، نتيجة لتردده وخجله، أو نتيجة لتأثير أسلوب تعامل أهله معه على ثقته بنفسه ويعدّ الخجل سمة شخصية وليست مرضاً نفسياً، وقد يصاحبه أعراض جسدية في بعض الحالات مثل احمرار الوجه والتعرق. يمكن أن يؤثر

الخجل الزائد على جميع جوانب الحياة، وقد يقلل من تقدير الفرد لذاته ويهزُّ ثقته بنفسه. وتذكرُ مؤسسه "بيتر هيلث" بعضَ الجوانبِ السلبية التي تتأثرُ بحياة الطفل نتيجة الخجل، ومنها: إهدارُ فرصٍ لتطوير المهارات الاجتماعية، صعوبةً في تكوين صداقاتٍ، والعزوفُ عن المشاركة في الأنشطة الممتعة التي تتطلبُ التفاعل مع الآخرين، مثل الرياضة أو المسرح أو الموسيقى.

ج- إهمال الأهل للتواصل مع الطفل: يمكن أن تؤدي قلة الاهتمام والتفاعل من الأسرة أو المحيطين بالطفل إلى صعوبات في التواصل، فالطفل يحتاج إلى المرور بتجارب لغوية واجتماعية في الحياة الواقعية، ليعرف الأشياء ويدرك معاني الكلمات، ويلمس العشب، واللعب، والأب يظل أمام شاشات التلفاز والجوال طوال الوقت. كما يجب إنشاء حوارٍ مع الطفل يعزُّز ثقته بنفسه، ويجعله أكثر قدرةً على التواصل والتفاعل. ويعاني الكثير من الأطفال من صعوبة في التكيف مع ثنائية اللغة حين يتكلم الأهل بلغةٍ والمربية بلغةٍ أخرى، فيتوه الطفل بين لغتين ويتأخر لغويًا.

د- المشكلات النفسية والاضطرابات: قد يعاني الطفل من مشكلات نفسية أو اضطرابات مثل القلق والاكتئاب، مما يؤثر في قدرته على التواصل. بعض الأحداث قد تسبب ألمًا نفسيًا عميقًا لا يتحملة الطفل، مما يؤدي إلى دخوله في حالة من القلق والاكتئاب، فالإجهاد العصبي والمعاناة والصدمات تجعل الجرح أعمق مع براءتهم وقد أكدت دراسات علم النفس أن طلاق الوالدين أو انفصال الأطفال عن والديهم أو الشجار والضرب والعنف والتنمر وحالات النزوح والكوارث الطبيعية تولد الضغط النفسي لدى الطفل وتؤثر في سلوكه وتكوين شخصيته، ويتطور تدريجيًا إلى شخصية حادة أو نرجسية. تلك الحالات تسبب صدمات نفسية للطفل وتسبب تغييرات فيسولوجية تؤثر في صحته العقلية والجسدية. ويتحول الخوف لديهم إلى خوفٍ مرضيٍّ بسبب انعدام الأمان العاطفي.

ه- العوامل البيئية: يمكن أن تؤثر العوامل البيئية مثل الضوضاء المستمرة، والازدحام، ومستوى التوتر والقلق في المنزل على القدرة التواصلية للطفل. كما أن ضعف العلاقات الاجتماعية، وقضاء الطفل طفولته بعيدًا عن التفاعل الاجتماعي، يؤثر في قدرته على

التواصل. وكذلك، فإن الهيكل الأسري غير السليم وكثرة النقد أو عدم وجود الثقة بين أفراد الأسرة يمكن أن يؤثر سلبًا. كما أن الانفصال أو الطلاق يؤثران على قدرة الطفل على التواصل مع الأهل، وعندها يحتاج الطفل إلى طرق دعم إضافية.

و- عوامل متعلقة بالصحة الجسدية: تؤثر المشكلات العضوية مثل مشكلات السمع والبصر والصحة العامة على قدرة الطفل على التواصل. إذ تعد الصحة الجسمية من أهم أسباب الحياة السعيدة والمريحة، فالجسم السليم يمنح صاحبه فرصة التطور في الحياة والقيام بدوره فيها على أكمل وجه، على عكس الجسم المريض الذي يجعله ينشغل بمعالجة آلامه وأوجاعه. فلو تعرض أي جهاز من أجهزة الجسم للمرض، ستتأثر جميع أجهزة الجسم الأخرى أيضًا، لأن الجسم كتلة واحدة، يؤثر ويتأثر ببعضه البعض. كما أن الصحة الجسمية مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالصحة النفسية والعقلية، لأن العقل السليم في الجسم السليم.

ويضاف إلى ما ذكر اضطرابات التواصل الأخرى الناجمة عن صعوبات مثل نقص الانتباه، وفرط الحركة، والديسلكسيا (أي عسر القراءة وصعوبة التعرف على أصوات الكلام ومعرفة صلتها بالحروف والكلمات وتفكيك رموزها). وتحدث الديسلكسيا نتيجة فروق معينة في مناطق معالجة اللغة في الدماغ.

إذن، يتضح مما ذكر أن أسباب اضطرابات التواصل لدى الأطفال تتلخص في ثلاثة عوامل هي كما يلي:

- عدم تشجيعنا للتواصل.
- أن الطفل يعاني من مشكلات تمنع قدرته على التكلم، مثل الصمم أو مشاكل في النطق أو تأخر في النمو اللغوي أو النمو العام، أو صعوبة في التكلم باللغة المستخدمة في الحديث إليه.
- أن ردود الفعل العاطفية القوية لدى الطفل تمنعه من التواصل بسهولة.

- وتتلخص الأعراض الرئيسية لتأخر الكلام عند الأطفال في عدة علامات واضحة تظهر في مراحل نموهم، ويمكن تلخيصها فيما يلي:
- عدم الثرثرة عند بلوغ الطفل ١٥ شهراً.
 - عدم التحدث عند بلوغ الطفل سنتين.
 - عدم القدرة على تكوين جمل قصيرة عند بلوغ الطفل ٣ سنوات.
 - عدم القدرة على اتباع التعليمات البسيطة.
 - وجود صعوبة في النطق أو في وضوح الكلام.
 - صعوبة في تركيب الكلمات ضمن جملة واحدة.

في دراسة نشرتها مجلة "Acta Medica Iranica" عام ٢٠١١م، والتي أجريت في إيران حول اضطرابات التواصل، أشارت الدراسة إلى أن اضطراب التواصل يمثل مشكلة ذات نتائج سلبية طويلة الأمد، ويؤثر هذا الاضطراب في الفرد والعائلة، بما في ذلك التحصيل الأكاديمي خلال السنوات الأولى من عمر الطفل والاختيارات المهنية في المراحل اللاحقة بعد سن البلوغ. وأشارت الدراسة إلى أن معدل انتشار اضطرابات الكلام الإجمالي بلغ ١٤.٨%، حيث كانت ١٣.٨% منها اضطرابات متعلقة بصوت الكلام، و ١.٢% منها مرتبطة بالتأتأة، و ٠.٤٧% مشاكل متعلقة باضطراب الصوت. ويختلف نمط انتشار هذه الأنواع الثلاثة من اضطرابات الكلام وفقاً لعدة عوامل، من بينها تعليم الوالدين، وعدد أفراد الأسرة، والجنس؛ حيث أشارت الدراسة إلى أن اضطرابات الكلام أكثر انتشاراً بين الذكور مقارنةً بالإناث، بحيث تصل نسبة انتشاره إلى ١٦.٧% بين الذكور مقارنةً بـ ١٢.٧% بين الإناث، في حين أن ترتيب الطفل بين إخوته، والديانة، وقرابة الأبوين لم تكن ذات تأثير في نمط الانتشار.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، بما أن التواصل هو الذي يتيح للطفل الاندماج مع مجتمعه، ويتلقى تعليمه بسلاسة، كان لا بد من الاهتمام الشديد بتعزيز قدرة الطفل على التواصل، والانتباه المبكر من الأهل لأي خلل في مهارات التواصل لدى الطفل، واستشارة طبيب نفسي مختص في مركز صحة نفسية موثوق للحصول على التشخيص المناسب. علماً

أنه لمعالجة مشكلات التواصل عند الأطفال، يمكن الاستعانة بتقنيات علاج اللغة والتخاطب، والعلاج النفسي والسلوكي، والتعاون بين المعالج المختص والعائلة والمدرسة والمجتمع لخلق بيئة تدعم التطوير اللغوي والاجتماعي للطفل.

وعلى ذلك، يمكن تحديد العديد من الطرق التي ينصح بها المعالجون الأهل لتعزيز التواصل بينهم وبين أطفالهم، ومنها ما يلي:

- شجّعوا أطفالكم على التعبير عن مشاعرهم، ولا تسكتوهم بالصراخ إذا حاولوا التعبير عن رأيهم أو سألوا سؤالاً. على الأهل أن يظهر اهتمامهم بما يقوله الطفل، ويستمعوا له ولمشكلاته.
- لا تغمروهم بالأشياء والألعاب، وتجعلوا كل ما يريدونه في متناول أيديهم. ضعوا أشياءهم المفضلة في صندوق وضعوه في مكان لا يتمكنون من الوصول إليه، لكنهم قادرون على رؤيته. لماذا؟ لأننا نريد أن نحث الطفل على طلب ما يريده، وأن يعتاد على التعبير عن رغبته. وإذا اكتفى بالإشارة إلى اللعبة، على الأم أن تتظاهر بأنها لم تفهم ما يريد، وتستفزه حتى يقول اسمها، ثم تحضرها له.
- أسماء الأشياء حول الأطفال وفي الكون المحيط بهم يتعلمها الطفل، ولا يولد وهو يعرفها. لذلك، يجب علينا كأهل أن نعلمه تسميات كل ما حوله، فنستمر في ذكر اسم أي شيء يلمسه أو يوجد حوله طوال الوقت، حتى وإن لم يذكره هو، فهو يمتص اللغة، ثم نراه يستعملها.
- عند التحدث مع الطفل، لا تتكلم بصوت عالٍ، ولا تتكلم بسرعة. تحدث بصوت معتدل ووضوح وبطء. وضح مشاعرك، وأخبره بما تتوقعه منه بهدوء ودون انتقاد أو هجوم، واهتم بالتواصل البصري بينك وبينه.
- العب مع طفلك وتكلم معه عن اللعبة، مثلاً: هذه سيارة، لونها أصفر. نبدأ بكلمة، ثم نضيف إليها كلمة أخرى بعد أن يتقنها. ونخلق من مواقف الحياة اليومية طرائق للتواصل مع الطفل. على سبيل المثال: وأنا أقوم بترتيب المنزل، أقول له: أترى، هذا قميص متسخ، نضعه في سلة الغسيل... حيث نزيد إدراكه لما يجري حوله، إضافة إلى تحسين لغته.

- الفوضى تؤثر سلباً على الطفل والأسرة، لذلك يُعدُّ وضع روتين ثابت للطفل يلتزم به من أهمّ العوامل التي تساهم في نموه السلوكي بشكل سليم. يشمل ذلك تحديد أوقات النوم والأكل والشرب واللعب. إنَّ وضع حدود وقواعد للتواصل والتفاعل بين الوالدين والطفل يساعد على توضيح الفرق بين السلوكيات المقبولة والمرفوضة، مما يعزز التواصل ويساهم في نمو الطفل.
 - الاهتمام والمتابعة، وإظهار الثقة والاحترام، والتفاعل والحوار البناء، بالإضافة إلى محاولة دمج الطفل في المحيط والبيئة، وإقامة علاقات اجتماعية، وتعزيز أساليب التعاون واللعب مع أقرانه، والتشجيع على التشارك.
 - عملية اكتساب اللغة وتعزيز التواصل الاجتماعي هي عملية مستمرة، ويجب المتابعة والتركيز على تدريب الطفل منذ صغره لتجنب إصابته بصعوبات التواصل.
 - الحصول على التشخيص المبكر يجعل العلاج أسهل وأكثر فاعلية. ومن المؤلم أن يصل الطفل إلى عمر المدرسة دون أن يلاحظ أهله أن لديه صعوبات واضحة في التواصل. ربما كان يعاني من مشكلات دماغية، أو مشاكل في السمع، أو نطق، أو صعوبات نفسية، وغيرها.
 - من الضروري الحصول على استشارة مختص لتحديد السبب وراء صعوبات التواصل، حيث أنَّ التشخيص المبكر يساعد في تحديد الخطة العلاجية المناسبة. هذا يساهم في تقديم الدعم المناسب للطفل في مراحل مبكرة من حياته، مما يعزز فرصة في التطور اللغوي والاجتماعي بشكل سليم.
- وتجدر الإشارة إلى أن العديد من الأطفال يُصابون في مرحلة ما بين سن ٢ إلى ٤ أعوام بفترة من التأتأة أو التعثر أثناء التحدث. وفي غالبية الحالات، لا يتجاوز الأمر تعثر الطفل بالكلمات، وهو أمر يختفي من تلقاء نفسه مع مرور الوقت. قد تأخذ التأتأة عدة مظاهر مثل توقف الطفل أو تعثره عند التلفظ ببعض الأصوات، مثل "ت-ت-تعال"، أو "يلق" أو يعيد الكلمات، أو يضيف أصواتاً مثل "آآآ" أو "مم"، أو يمد بعض الحروف، مثل "ك-ك-ك-ك-كفى"، أو قد يتعطل الحديث تماماً.

وغالبًا ما تأتي التأتأة في بداية الكلمة أو الجملة. وفي حالة الغالبية العظمى، فإن حالات التعثر هذه تختفي من تلقاء ذاتها. ويقدر الخبراء أن ما بين خمسة وعشرة في المائة من جميع الأطفال مصابون بهذا النوع من المشاكل عندما يتعلمون التحدث. والتأتأة عند الكبار أكثر ندرة، حوالي واحد في المائة من جميع الكبار يتأتنون، وهذا ينطبق في الأغلب على الرجال. إن كان الطفل متوترًا أو يشعر بالضيق عند الحديث أو إن كان الحديث «يعلق» تمامًا، أو إن كانت التأتأة تأتي غالبًا أو تشدّد حدتها، فقد يستفيد الطفل من التواصل مع اختصاصي معالجة النطق. بإمكان مركز رعاية صحة الأطفال توفير مثل هذا التواصل.

وفي هذا السياق، لا يعرف أحد بالضبط ما هو سبب التأتأة، ولكن العلماء يعتقدون أن لها علاقة بإشارات الدماغ إلى العضلات المستخدمة عند الحديث. ففي الأشخاص الذين لا يعانون من التأتأة، يتحكم النصف الأيسر من الدماغ في حركية النطق، بينما في الأشخاص الذين يتأتنون، يتحكم كلا نصفي الدماغ في هذه الحركية. قد يكون لهذا التأثير أثره على الإشارات العصبية، مما يجعلها أقل دقة وسلاسة. كما يعتقد العلماء أن التأتأة العابرة التي تظهر عند تعلم الطفل للكلام مرتبطة بنمو الدماغ. يُعتقد أيضًا أن هذه الظاهرة قد تكون نتيجة لعوامل وراثية أو بيئية، وقد تختلف من طفلٍ لآخر بناءً على الاستجابة العصبية والتفاعلات الاجتماعية في البيئة المحيطة. إضافة إلى ذلك، قد تلعب عوامل مثل التوتر أو الضغط النفسي دورًا في تفاقم التأتأة، مما يجعل من المهم مراقبة بيئة الطفل وتوفير الدعم النفسي المناسب. ولذا فإن التدخل المبكر والبيئة الداعمة يمكن أن تسهم في تخفيف الأعراض وتعزيز نمو الطفل اللغوي والاجتماعي.

كما ذكرنا سابقًا، فإن التأتأة لا تُعتبر مشكلةً مزمنةً في أغلب الحالات، بل قد تكون مرحلةً طبيعيةً في تطور الطفل اللغوي. ولا تتولد التأتأة إطلاقًا بسبب شخصية الوالد أو كيفية حديثه مع طفله. كما أنّ التأتأة لا تعكس شيئًا عن شخصية الطفل، فالشخص الذي يعاني من التأتأة ليس بالضرورة أن يكون خائفًا أو يتجنب فعل الصواب. كذلك، فإنّ السبب لا يعود إلى تدليل الطفل أو إصابته بـ"عدوى" من أحد الأصدقاء أو الإخوة. وإذا تعرض طفلك للتأتأة لفترة، يمكنك دعمه عن طريق تقليل سرعة حديثك وتوفير فرصة للتحدث بهدوء، مثل قراءة

القصص مساءً، وترك الطفل يكمل حديثه حتى وإن تعثر في كلامه، دون أن تسيطر أنت وتملأ الفراغات.

في واقع الأمر، لم يجد الخبراء حتى الآن طريقة لمنع حدوث اضطرابات الكلام عند الأطفال. ولكنها تُعتبر اكتشاف المشكلة في وقت مبكر واتخاذ الإجراءات اللازمة بشكل سريع من أهم خطوات التغلب على المشكلة، وذلك من خلال مساعدة الطفل على النمو والتطور بشكل جيد، والتعامل مع الأمور المتعلقة بالمدرسة، وتحسين نوعية حياته. وفي الحقيقة، يمكن اتباع بعض النصائح التي قد تساهم في الوقاية من حدوث اضطراب الكلام عند الأطفال أو الكشف المبكر عنه على الأقل، ومنها: الحرص على عدم تناول الأدوية والعقاقير خلال فترة الحمل، والاستمرار في التحدث مع الطفل في مختلف الأوقات، بالإضافة إلى مشاركته في القراءة، وإجراء الفحوصات اللازمة للتأكد من سلامة الأذن وحاسة السمع بانتظام، والعمل على فهم كيفية تطور اللغة والكلام عند الأطفال، والتأكد من ارتداء الطفل للخوذة ووضع حزام الأمان عند اللزوم لتفادي التعرض لإصابات في الدماغ.

ختامًا، تبين أن التأخر في اكتساب اللغة والتواصل لدى الأطفال قد يكون ناتجًا عن مجموعة متنوعة من الأسباب، مثل العوامل الوراثية، البيئية، والصحية. من خلال التفاعل المستمر مع الطفل، يمكن للأسرة أن تساهم بشكل كبير في تطوير مهاراته اللغوية. وقد أظهرت الدراسات أن التدخل المبكر مع استخدام أساليب مثل التحدث المستمر، القراءة للأطفال، وتوفير بيئة محفزة لغويًا، يمكن أن يُحسن بشكل كبير من قدرة الطفل على التواصل. إضافة إلى ذلك، من المهم متابعة الفحوصات الطبية للتأكد من سلامة حاسة السمع والقيام بتقييمات دورية، حيث يمكن أن يؤدي الكشف المبكر عن أي اضطراب إلى نتائج أفضل في العلاج. تشمل الاستراتيجيات الوقائية الأخرى توفير بيئة آمنة، والاهتمام بتطوير مهارات الطفل منذ بداية حياته.